معركة الجزائر 1956- 1957 بقلم بلهادف صورية [1]

تعد معركة الجزائر التي استمرت اكثر من سنة منعرجا حاسما في مسار حرب التحرير للعديد من الأسباب أهمها :

- انها شهدت نقل ميدان المعركة او مكان تنفيذ العمليات الفدائية من الجبال و الأرياف الى المدن و بالذات الى الجزائر العاصمة .
- شكلت لحظة التحام و التفاف الشعب حول جبهة التحرير الوطني من خلال ابراز مشاركة فئات شعبية مختلفة خاصة سكان المدن و أسهامها في إنجاح العمليات الفدائية و بذلك قياس ما مدى نجاح جبهة التحرير الوطني في استقطاب الجماهير الشعبية الجزائرية .
- كانت لحظة قمع و عنف شديدين بسبب لجوء القوات الفرنسية الى التعذيب في استنطاق المتهمين اذ عرفت معركة الجزائر استخدام هذه الوسيلة لا إنسانية بشكل واسع ,
- من خلال النتائج التي افرزتها على مستوى التعريف بالقضية الجزائرية سواء في المجال السياسي او العسكري و التي حولت مجرى حرب التحرير بتدويل هذه القضية و اهتمام الراي العام الفرنسي و الدولي حول ما يجري في الجزائر على العموم و الجزائر العاصمة على وجه الخصوص التي هي مقر الحكومة العامة الفرنسية و مكان تواجد المعمرين الأوروبيين .

1- نقل العمليات الفدائية الى المدن :

كانت الجزائر العاصمة تتوفر على العديد من الخصائص جعلت قادة جبهة التحرير الوطني يفكرون في نقل المواجهة المسلحة بين الجزائر و فرنسا الى العاصمة ، حيث كانت مركز المصالح الإدارية و العسكرية الفرنسية [2] و مكان استقرار المعمرين بكثافة سكانية كبيرة اذ اشارت الاحصائيات ان عدد المعمرين الأوروبيين المتواجدون في العاصمة قد بلغ : 427626 معمر و ذلك سنة 1954 [3] و قد اشارت نفس الاحصائيات تفضيل المعمرين الاستقرار في المناطق الحضرية و المدن بمقارنة بالأرياف حيث كانت نسبة تواجدهم بالمدينة قد قدرت ب 77 % [4]من العدد الإجمالي و يمارسون نشاطات اقتصادية مرتبطة بالمدينة مثل : قطاع

---

[1] المصادر و المراجع المعتمدة في دراسة معركة الجزائر :

Yacef saadi , souvenirs de la bataille d'Alger , décembre 1956 à septembre 1957, rêne Julliard , paris , 1962.

Mohammed harbi , le FLN mirage et réalité , Naqd – Enal,, Alger , 1993.

[2] Gilbert meynier, histoire intérieur du FLN 1954 – 1962 , casbah éditions , Alger, p.323.

[3] Charles robert Ageron, histoire de l'Algérie contemporaine , presse universitaire de France , paris , 1970 , p.476.

[4] Mohammed harbi, 1954 la guerre commence en Algérie , éditions complexe , Bruxelles , 1998, p.82.

الصناعة بنسبة 34% و قطاع الخدمات بنسبة 50% [5] لذلك فان تأثير العمليات المسلحة المنفذة في الجبال و الأرياف لم يكن مباشرا علي فئة كبيرة من المعمرين .

لذا فكر قادة جبهة التحرير الوطني في اشراك سكان المدن في الكفاح المسلح بهدف تخفيف الضغط الذي تعانيه قوات جيش التحرير الوطني المتواجدة في الأرياف [6] ، كما اعتبر قادة جبهة التحرير الوطني ان الشبكات الفدائية الموجودة بالقصبة بأشراف ياسف سعدي قد وصلت الى درجة من النضج و القوة تسمح لها بدخول ميدان المعركة في المدينة ، مما سيفرض على الإدارة الفرنسية بذل مبالغ و تكاليف مالية كبيرة لحماية السكان الأوروبيين و لا تستطيع تحملها على المدى البعيد [7] ، كما قررت قيادة جبهة التحرير الوطني الاعتماد على العمل الإعلامي و ضمان تغطية إعلامية واسعة تؤثر على الراي العام الفرنسي حيث ان : **" تنفيذ عملية فدائية واحدة وسط الجزائر العاصمة تساوي في وقعها و تأثيرها مئة عملية تنفذ في الجبال [8]"** و هذا يعني تدويل المسالة الجزائرية على المدى البعيد [9].

عرفت معركة الجزائر انتقالا تصاعديا في تنفيذ العمليات الفدائية حيث اقتصرت في اول الامر على قتل عناصر الشرطة الفرنسية او العناصر الموالية لها [10]باستخدام سلاح المسدسات ، لتأخذ بعد ذلك طابع خطير بعد ان اعدمت السلطات الفرنسية كل من احمد زبانة و عبد القادر فراج في 19 جوان 1956 فتحولت الى عمليات انتقامية لإعدامهما اذ جاء في منشور كتبه كل من عبان رمضان و العربي بن مهيدي ما يلي : **" ان كل اعدام سينفذ ضد احد منضالينا سيؤدي الى مقتل مئة فرنسي [11]"** ، انتقلت معركة الجزائر لتمس المدنيين الفرنسين باستخدام سلاح المتفجرات بعد ان قامت مجموعة متعصبة تابعة للمعمرين بتفجير منزل يسكنه الجزائريون في شارع thébes بالقصبة في ليلة 10 اوت 1956 [12] و أدى الى مقتل و جرح عدد كبير من الجزائريين بلغ عددهم 60 جزائري [13] ، هذا العنف المتبادل جعل معركة الجزائر تدخل ادق مراحلها بعد ان منح الوزير المقيم روبير لا كوست robert Lacoste السلطات المطلقة الى قائد الفرقة العاشرة للمظلين الجنرال ماسو Raoul Massu من اجل حفظ و ارجاع الامن و ذلك في 7 جانفي 1957 [14]، استغل الجنرال ماسو هذه الصلاحيات الواسعة و اعلان اضراب الثمانية من طرف جبهة التحرير الوطني المقرر من 28 جانفي الى 4 فيفري 1957 لكي يتدخل بكل قواته التي اقتحمت شوارع و بيوت القصبة لحجة القضاء على اضراب الثمانية أيام فأرغمت قواته المقدرة ب 8000 مظليا الجزائريين على مغادرة

---

[5] Mohammed harbi, 1954 la guerre commence en Algérie , op, cit , p .89-90.
[6] Mohammed harbi, le FLN mirage et réalité , op, cit , p.189.
[7] Gilbert meynier, op, cit , p.322.
[8] Yves courrière, la guerre d'Algérie , tome 2 le temps des léopards , casbah éditions , Alger, p.357.
[9] Gilbert meynier, op, cit , p.323.
[10] Yacef saadi , op, cit , p, 15-16 .
[11] Yves courrière , op, cit , p.357.
[12] Yacef saadi , op, cit , p.17.
[13] Gilbert meynier, op, cit , p.322.
[14] Djamila Amrane , « la bataille d'Alger » in Algérie actualité n 1425 , semaine de 3 au 9 fevrier 1993 , p, 16- 17

منازلهم و الاتجاه الى أماكن عملهم عنوة ، كما شنت قواته حملات واسعة من الاعتقالات مست جزء كبير من سكان القصبة [15].

2- مشاركة الجماهير الشعبية في معركة الجزائر :

يتضمن كتاب ياسف سعدي [16] **"ذكريات عن معركة الجزائر "** العديد من الأمثلة عن الفئات الشعبية التي لعبت دورا أساسيا في تقديم دعم المادي و المعنوي للفدائيين و ساهمت في إنجاح العمليات الفدائية و معركة الجزائر في مراحلها منها : الدور الذي لعبه **الأطفال** على راسهم الطفل عمر ياسف المعروف بعمر الصغير البالغ آنذاك 12 سنة حيث كان وسيلة اتصال بين الشبكات الفدائية من خلال نقل أوامر و توجيهات ياسف سعدي كما كان يتولى مهمة حماية تنقلات الفدائيين من شارع الى اخر فكان يسير في المقدمة و يعلمهم باي خطر قد يداهمهم ، خاصة و ان قوات المظليين لم تكن تشك في حركات الأطفال [17] و نفس النموذج تقدمه الطفلة زينب البالغة من العمر 14 سنة حيث كانت تقوم بنفس المهمة [18].

لعبت المرأة الجزائرية في الجزائر العاصمة دورا أساسيا في إنجاح العمليات الفدائية حيث شاركت بعضهن في نقل الأسلحة و تولت مهمة وضع القنابل في النوادي و الملاهي الليلية المكتظة بالمعمرين مثل : **جميلة بوحيرد ، حسيبة بن بوعلي ، زهرة ضريف ، جميلة بوعزة ، باية حسين ، سامية لخضاري** [19] فقد قمن بوضع المتفجرات في ملهى le coq hardi و le Milk bar [20] و مركز الخطوط الجوية الفرنسية [21] ، لم يقتصر دور المرأة على هذا الامر فقط بل كانت تتولى كتابة التقارير و الرسائل للفدائيين الذين كانوا يجهلون القراءة و الكتابة مثل : على لا بوانت Ali la point ، كما تولت المرأة مهمة الاتصال و حماية الشبكات الفدائية [22] بالتالي انتقلت المرأة العاصمية مع معركة الجزائر من ممارسة الاشغال المنزلية الى تنفيذ العمليات الفدائية و مشاركة الرجل في نفس الخطر بل تحملت مسؤوليات اكبر بالتستر على الفدائيين و توفير مخابئ امنة لهم من خلال نموذج السيدة فتيحة بوحيرد التي كانت ماكثة في المنزل فقد واجهت استنطاق المظلين ووفرت مخبأ امن للمسؤول العسكري عن منطقة الجزائر المعروفة ب : zone autonome d'Alger ياسف سعدي بعيدا عن الشكوك القوات الفرنسية القريبة جدا من احياء القصبة [23] ، هكذا كانت معركة الجزائر لحظة مشاركة و التقاء و تحول مس عالم المرأة الجزائرية بمستويات مختلفة حيث جمعت بين الفتيات المثقفات الواعيات بأبعاد كفاح جبهة التحرير الوطني و اخترن مواجهة القوات الفرنسية

---

[15] Djilali sari , huit jours de la bataille d'Alger , entreprise nationale du livre , Alger, 1987 , p.57
[16] Yacef saadi , op, cit p. 9 à 121.
[17] Djamila Amrane , op, cit , p.16-17.
[18] Yacef saadi , op, cit , p.22- 23 .
[19] Gilbert meynier, op, cit , p.326.
[20] Yacef saadi , op, cit , p.29.
[21] Gilbert meynier, op, cit ,p.326.
[22] Djamila Amrane , op, cit , p.17.
[23] Yacef saadi , op, cit , p.112.

المسلحة بوضع القنابل و اخترن التخلي عن اللباس التقليدي العاصمي المتمثل في الحايك و لبسن ملابس الاوروبيات [24] و بين النساء الغير المتعلمات و الماكثات في البيوت .

الى جانب هذه النماذج هناك امثلة أخرى توضح التحام سكان القصبة حول قادة جبهة التحرير الوطني مثل : التاجر الذي اغلق محله التجاري طيلة اضراب الثمانية أيام و كذا الحداد و النجار [25] و البناء الذي تولى مهمة بناء المخابئ للفدائيين [26] و القايد الموالي للإدارة الفرنسية الباشاغا عبد القادر بوطالب الذي حول منزله الى مخبأ للفدائيين [27] .

3- اللجوء الى التعذيب [28]:

كان لجوء قوات الجيش الفرنسي الى التعذيب اثناء استنطاق المتهمين و اتساع استعماله من خصائص البارزة لمعركة الجزائر خاصة بعد ان سلم الوزير المقيم روبير لاكوست السلطات المطلقة للجيش الفرنسي و لقوات المظليين بقيادة الجنرال ماسو حتى يسهل عليه مهمة تفكيك و القضاء على الشبكات الفدائية الموجودة في القصبة و بالتالي : إعادة الهدوء و الامن للجزائر العاصمة فكان ذلك إيذانا بأطلاق عمليات عسكرية بوليسية واسعة النطاق شملت مختلف احياء القصبة حيث عملت قوات المظليين على عزل مختلف احياء القصبة بالأسلاك الشائكة و حصر منافذ الدخول و الخروج عن طريق انشاء مراكز للمراقبة توضع في كل حي ، كما فرضوا حظر التجوال على سكانها لمنع التنقلات الليلية ، هذه الخطوات الأمنية تبعتها عمليات مداهمة و اقتحام للبيوت العاصمية في ساعات متأخرة من الليل او في الصباح الباكر أدت الى اعتقال اعداد كبيرة من العاصميين حيث تذكر الدراسات التاريخية ان ما يقارب 2500 شخص تم اعتقالهم في ليلة 31 جانفي 1957 فقط [29] ، ووجهوا الى محتشدات او مراكز خاصة ، و تنوعت أدوار المحتشدات و المراكز ما بين مكان لفرز المعتقلين و مراكز للتعذيب تحت اشراف قوات خاصة عرفت باسم : détachements opérationnels de protections مثل فيلا سيسيني [30] villa susini و محتشد بني مسوس ، بول قونزالاس Paul gauzelles و الابيار [31]. و قد تنوعت وسائل التعذيب و القمع ما بين : تمرير التيارات الكهربائية على المناطق الحساسة من الجسم و ارغام المعتقل على شرب كميات كبيرة من المياه القذرة لمنع التنفس [32] ، حرق الجسم باستخدام النار او الأدوات الحارقة ، الضرب

---

[24] Gilbert meynier, op, cit , p.326.
[25] Djamila Amrane , op, cit , p.17 .
[26] Yacef saadi , op, cit , p.60.
[27] Yves courrière , op, cit , p.486.
[28] للتعمق اكثر حول التعذيب اثناء معركة الجزائر :
Henri Alleg , la question , les éditions de minuit , paris , 1958.
Djamel Amrane , le témoin , les éditions minuit , paris 1960.
Raphael branche « la torture pendant la guerre d'Algérie » in la guerre d'Algérie , t2 , ed chihab , Alger, 2004 , p.43- 65 .
[29] Djamila Amrane , op, cit , p .16- 17 .
[30] المقر السابق لقنصل المانيا ,
[31] Djallali sari , op, cit , p.50.
[32] Yacef saadi , op, cit , p.42- 52 .

لإجبار المعتقل على شرب نوعيات خاصة من الادوية تجعله يعترف بكل شيء مثل دواء البان طوطال le penthotal [33] ، أدى استخدام هذه الوسيلة البشعة على نطاق واسع الى تفكيك الشبكات الفدائية الموجودة في القصبة و أدت الى اعتقال ما لا يقل عن 80000 جزائري حسب إحصائية قدمها الصحفي الفرنسي Albert – paul Lentin البير بول لوتان تتراوح أعمارهم ما بين 15 سنة و 40 سنة من جهة و فرض الإقامة الاجبارية على ما يقدر ب 30000 جزائري [34] ، كما أدى التعذيب الى اغتيال العديد من الشخصيات الهامة سواء وسط الجزائريين او الفرنسيين كثل : اغتيال العربي بن مهيدي عضو لجنة التنسيق و النفيذ في ظروف جد غامضة في 4 مارس 1957 ، اغتيال المحامي الشاب علي بومنجل في مارس 1957 [35] ، اختفاء الطالب الفرنسي موريس اودان Maurice Audin في جوان 1957 ، اغتيال المناضلة الشابة وريدة مداد في اوت 1957 [36] هذا ما اثار استياء الراي العام الفرنسي اذ اخذت نتائج هذه الممارسات و عمليات التعذيب تظهر على الساحة السياسية و الاعلامية الفرنسية و لدى المثقفون الفرنسيون الذين عبروا عن احتجاجاهم و رفضهم هذه الأساليب ، و طرحوا العديد من التساؤلات و إعادة نظر حول حقيقة ما يجري في الجزائر بل و قدموا البعض منهم استقالته مثل : الوزير السابق و أستاذ الحقوق رونيه كابيتاه René capitan الذي قدم استقالته من منصبه في جامعة باريس احتجاجا على اغتيال المحامي علي بومنجل الذي كان في يوم من الأيام طالبه و يعرفه جيدا ، و استقالة السكرتير العام لأمن عمالة الجزائر العاصمة [37] paul teitgen بول تيجان من منصبه في 12 سبتمبر 1957 اذ كتب في نص الاستقالة احتجاجا على :" **اثار ممارسات النازية التي تعود الى عهد ال guestapo التي وجد اثارها على اجسام المعتقلين اثناء زيارته للمحتشدات "** و قدم لائحة تتضمن 3024 مختفي اختفوا في ظروف غامضة اثناء وجودهم في الاعتقال [38] فتشكلت لجنة ضد التعذيب تضم العديد من المثقفين الفرنسين على راسهم المؤرخ الفرنسي pierre Vidal – Naquet بيار فيدال ناكيه ، حملت اسم "لجنة موريس اودان " التي طالبت بفتح تحقيق حول حقيقة اختفائه و نشرت كتاب حول هذا الموضوع حمل اسم : " قضية اودان " l'affaire » « Audin ، تزامن هذه النشاط المكثف و حملة الاستقالات نشر عدد م المقالات الصحفية في الجرائد الفرنسية مثل : جرائد le monde و France – observateur [39] و libération و l'express و témoignages chrétiens التي نشرت وصفا للتعذيب كتبها جنود الخدمة العسكرية ، او ضحايا هذه الممارسات مثل الصحفي الفرنسي هنري الاق henri Alleg احد رفاق الطالب موريس اودان بعنوان "**الاستنطاق " la question** و كتاب جمال عمراني بعنوان **" الشاهد "** le témoin و كتاب المسيحي بول هنري سيمون Paul Henri

[33] Henri Alleg , op, cit , p.76- 83.
[34] Albert – paul lentin , l'Algérie entre deux mondes le dernier quart – d'heure , éditions julliard , paris , 1963, p.131.
[35] Djamila Amrane , op, cit , p.17.
[36] Ibid , p.17.
[37] Jean ferniot , de gaulle et le 13 mai, librairie Plon, paris, 1965, p.113 .
[38] Djamila Amrane, op, cit , p.17.
[39] Ferhat Abbas, autopsie d'une guerre , l'aurore , éditions Garnier, paris, 1980 , p.199.

Simon بعنوان " ضد التعذيب " « contre la torture » [40] ، هكذا تجند الصحفيون [41] و المثقفون الفرنسيون ضد التعذيب فعملوا على تنبيه المجتمع الفرنسي لحقيقة ما يجري في الجزائر و طرحوا تساؤلا هاما و هو : **" هل على فرنسا ان تكسب معركة الجزائر و تخسر شرفها "** [42].

4- نتائج معركة الجزائر :

افرزت معركة الجزائر نتائج وخيمة سواء في المجال السياسي او العسكري حيث فرضت على جبهة التحرير الوطني ان تعيد النظر في استراتيجيتها العسكرية و كيفية استمرار الكفاح المسلح بسبب العديد من المستجدات و الظروف الصعبة من أهمها : **تفكيك الجهاز السياسي و العسكري الذي تشكل في الجزائر العاصمة [43] و المتمثلة في لجنة التنسيق و التنفيذ حيث اضطرت الى مغادرة الوطن و اللجوء الى تونس ، وسط صعاب جمة بعد اغتيال محمد العربي بن مهيدي ، و فرضت على قادة جبهة التحرير الوطني إعادة النظر في احدى أولويات الكفاح المسلح كما جاء في ميثاق الصومام و هو : أولوية الداخل على الخارج [44]، و هذا يعني إعادة تشكيل أجهزة و قيادات جبهة التحرير الوطني بعيدا عن الأراضي الجزائرية و بالتالي بعيدا عن واقع الحرب المشتعلة داخل الأراضي الجزائرية [45] ، الا ان هذا الامر لم يكن سلبيا على المطلق حيث سمح ببذل نشاط واسع و مكثف على المستوى الخارجي للتعريف بالقضية الجزائرية [46] .**

من أدت معركة الجزائر الى احتلال القصبة من قبل قوات المظليين الذين عاثوا فيها فسادا إذ استخدموا العنف ضد سكانها دون تميز أو رحمة و تولوا تفكيك الشبكات الفدائية المتواجدة بها اما عن طريق تفجير مواقعها : مثلما حدث لمجموعة علي لا بوانت Ali la point و حسيبة بن بوعلي في 8 اوت 1957 [47] او اعتقال أعضائها مثل اعتقال مجموعة ياسف سعدي و زهرة ضريف في 24 سبتمبر 1957 و هو ما أدى الى القضاء على غالبية الإطارات الفدائية التي تكونت في الجزائر العاصمة بسبب اعتقالها او رحيلها عن الأراضي الجزائرية [48] ، و بالتالي إعادة نقل مجال المعركة او العمل المسلح من المدن الى الأرياف و الجبال مرة أخرى و بالتالي تقليص دور المدن على العموم و الجزائر العاصمة على الخصوص لتصبح قاعدة خلفية للعمليات المسلحة [49] .

---

[40] Ferhat Abbas , op, cit , p.198.

[41] و هم على التوالي : jules roy و robert barrat و Albert –Paul lentin و jean la couture ,

[42] Benjamin stora , histoire de la guerre d'Algérie 1954- 1962, éditions de la découverte , paris , p.26.

[43] Mohammed harbi , le FLN mirage et réalité , op,cit , p.196.

[44] Gilbert meynier, op, cit , p.329.

[45] Mohammed harbi le FLN mirage et réalité, op, cit , p.193.

[46] Djamila Amrane , op, cit , p.17.

[47] Gilbert meynier, op, cit , p.326.

[48] Mohammed harbi , le FLN mirage et réalité , op, cit , p.192.

[49] Ibid , p.192- 193 .

تلك هي اهم نتائج معركة الجزائر على المستوى الداخلي ، اما في المجال الخارجي أدت معركة الجزائر الى توسيع مجال تدويل القضية الجزائرية التي أصبحت تشكل انشغالا دولي هاما سواء لدى الدول الأوروبية مثل : سويسرا ، إيطاليا ، بلجيكا ، بريطانيا ، المانيا ، او لدى الولايات المتحدة الامريكية اذ لم تعد هذه الدول تخفي تضامنها مع الجزائر فقد أرسلت كل من بريطانيا و الولايات المتحدة الامريكية حمولتين من العتاد العسكري و السلاح الى جبهة التحرير الوطني في شهر نوفمبر 1957 بواسطة تونس ، كما عبر السيناتور الأمريكي جون ف كنيدي John Kennedy عن رغبة الولايات المتحدة الامريكية في إيجاد حل للقضية الجزائرية عندما صرح قائلا : **" لم تعد الجزائر مسالة فرنسية بحتة "** [50]

[50] Ferhat abbas , op, cit , p, 199- 201.